دور الترجمات القرآنية الأجنبية الفرنسية في تحريف علوم الوحي

(PP 197 - 208)

https://doi.org/10.21271/zjhs.23.s4.13

جويده غانم

قسم الفلسفة - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة عنابة-الجزائر

samiraphilo_2007@yahoo.fr

Supplementary Vol.23, No.4, 2019

The Texts and Heritage:
"Readings and Reviews"

ملخص

خضع القرآن لاهتمام كبير من طرف المدارس الأوربية بتنوع مدارسها ومشاربها الإيديولوجية خاصة فيما تعلق بالدارسات المتعلقة بالقرآن وترجماته،وقد بدأت أولى هذه الترجمات على إثر الاحتلال الصليبي للعالم الإسلامي وعلى إثر فشلها في الحروب حولت اهتمامها إلى مجالات الفكر و الثقافة وترجمة ما تيسر من تراث المسلمين ،قصد فهمهم و الهيمنة عليهم، وقد كانت أولى الترجمات سنة 1143م **لروبرت أوف كيتون (Robert Keaton)**، بالإضافة إلى ترجمة وليم الطرابلسي (William Trabelsi)سنة 1147م وترجمة **روس(Ross)**، وكذلك **بروديل (Braudel)**، وكان للمدرسة الإستشراقية الفرنسية الدور الكبير في توجيه أعمالها البحثية إلى القرآن وعلومه، لنقف على أهم الترجمات الغربية حيث صرح جاك برك أن ترجمته للقرآن بمثابة البحث المنطقي لمعانيه و ألفاظه،وهو الذي أكد أنه يريد أن يجد معنى وديا له خاصة في ظل الظرف العالمي الذي تقوت فيه الحركات الأصولية،وإعلان القوى الكبرى على حروب الصليبية جديدة، ما جعله يصطدم بتطبيق المنهج الذي صاغ به ترجمته،هل هي ترجمة فعلية تختص بالنقل من لغة إلى لغة؟ أم هو تفسير يقف على خصائص معينة لمقصده الذاتي اتجاه الآيات ومنطق التلاوة؟أم أنها تأويل لها معايير محددة بين ظاهر وباطن اللغة القرآنية الأصلية،وبين ظاهر وباطن اللغة القرآنية الجديدة؟ ومن ثم يطرح السؤال التالي:متى تنتهي عملية الترجمة،ومتى يبدأ التفسير و التأويل؟

أمام هذه المتناقضات المنهجية في واقع ترجمات القرآن والتناقضات اللفظية التي وجدت في أكثر الترجمات ،كترجمة ريجيس بلاشير(Regis Blashir) وسافاري(C. Savary) وجاك برك (Jacques Berque)، يلحظ مسألة التموضع في اللفظ الذي استحدثوه في ترجماتهم دون أن يراعي في ذلك ما هو مشهور عند عموم المسلمين بما يسمى(***أسباب النزول***) وغيرها من الحالات التوقيفية والحالات التدوينية التاريخية، التي كان لهم أن يطلعوا عليها ويتفهمونها بعمق،كون آليات الترجمة التي تسري على ما يسمى الكتاب المقدس،ليست هي الآليات التي يسري عليها كلام الله،وتضع في هذا السياق نسقا اصطلاحيا جديدا لترجمة القرآن ، لا يخرج بطبيعة الحال عن روح الموضعة والاستبدال .

الحديث عن استراتيجيات قراءة القرآن في الوعي الغربي ضمن العديد من المناهج والتأولات، يفتح مسألة النقاش على المفاهيم المنبثقة و النصوص المتأولة من منطلق الترجمات التي عني بها الغرب للقرآن،ضمن أنساق جديدة في التحوير و التبديل ونقل ألفاظه ومعانيه من لغة إلى لغة يقتضي إدراكا شاملا لمحصلات الثقافة التي بني عليها القرآن من طرف الغرب،باعتباره بادر إلى نقل معانيه لمعرفة أنساقه ونظمه المعرفية.

إن الترجمة في قراءات الغرب للقرآن وإعادة النظر في مفاهيمه وتشكيلاته الخطابية ،تهدف في سياق إيديولوجي إلى إيجاد وعي إسلامي آخر يكون حاضرا ومعاصرا لتكوين امبريالية ثقافية تهدف إلى استنساخ مفاهيم قرآن جديد ،ولعل هذه الحالة يُسيّرها نمط من المنطق التحويلي الذي لا ينفصل عن التأثيرات الكبرى لحالات مستنفرة من المعطيات المعرفية الخاصة بالعقل الغربي الذي بنى هذه الترجمة، علما أن مفهومها لم يضبط بالتحديد مشكلات معانيه ومناهجه على قراءة القرآن أو فهم الحدث وتفسير الماضي و الحاضر،لأن البحث فيما يسمى النص و التراث تعترضه جملة من الانفجارات المنهجية الغربية و التوجهات التحيزية الأيديولوجية، الذي أصبح الفكر الإسلامي رهينا لها،في ظل تداخل العوالم وتعانق الثقافات و الأفكار و المفاهيم وصدام تقاسيم الهويات واختلاف الجغرافيا، و السؤال و المطروح:

_ما طبيعة الإستراتيجية التي انطلقت منها الترجمات الأجنبية للقرآن ،خاصة إذا تم النظر إلى أن كل بنية تحويلية قائمة على التحيز الإيديولوجي لمفهومه ونتيجته؟

_ ما مدى مشروعية هذه الترجمة في دراسة القرآن ومحاولة فهم معانيه ،خاصة وأن أي منهج لا يخلو من مورثه الثقافي و الإيديولوجي ؟

_ كيف عطلت هذه الترجمات القراءة الأصلانية للقرآن؟

_ وعلى أي أساس أعدمت مواطن الترتيل وألغت وحرفت أنساق الحرف والكلم الوحي والتنزيل؟

مفتاح البحث: القرآن،الترجمة، الوحي،جاك برك، التأويل.

1 -مقدمة

الحديث عن ترجمة القرآن في إطار الإستشراق بصفة عامة و الحراك الإستشراقي الفرنسي بصفة خاصة،يفتح الحديث عن خصوصية النص القرآني من جهة،وإعادة النظر في ملابسات ترجمته وتحويله من معنى إلى معنى آخر غير اللسان الذي أنزل به من

جهة ثانية،يجعل من التحقيق في أنساقه البنيوية واللفظية و الدلالية و الإعجازية بمثابة قراءة واقع التحولات في مرجعياتها التي عهدت لنفسها حق الترجمة،وإذا كانت هذه الأخيرة تشكل فعلا حضاريا وثقافيا فإن نيات الكتابة ومقاصدها تفتح البحث على تعيين مواطن الإشكال في ضرورة ترجمته والتي تقتضي البحث عن المقابل الصحيح والقريب للسان العربي ومعناه في جميع اللغات، وهذا يقتضي وجوب الدقة والتحري لترشيد الألفاظ و المعاني،أو عدم الأخذ بترجمته بحكم أن اللسان العربي فقط هو الذي يقرأ به القرآن،وهذا ما يجعل القرآن خاصا بقوم أو بجماعة،وليس للعالمين مصداقا لقوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)،ناهيك عما يتعرض له القرآن من تحديات ظاهرة وخفية،ليست لغرض علمي نزيه بقدر ما أنها تحمل تحيزا أدلوجيا قد يدفعه إلى حرب لغوية ودينية وتاريخية قد يرفضها العقل لخروجها عن منطق وعي الفعل الحضاري والثقافي والقرآني.فما الحل إذن أمام تكاثر الترجمات وتعددها؟ وعلى أي أساس يمكن النظر فيها إذا ما دققنا البحث في شعار كل معرفة متبوعة بمصلحة؟ وبما أننا خصصنا الحديث عن الترجمات الفرنسية للقرآن نتساءل كالتالي:ما واقع ترجمات الإستشراقية الفرنسية للقرآن وما درجات استباحتها واستحالتها في تعيين لفظ القرآن و معناه؟

2- ترجمة القرآن من الاستباحة إلى الاستحالة: (الإطار النظري)

إذا كان الدين الإسلامي قد تربع على سائر الأديان، واللسان العربي تربع عرشه على سائر اللغات،فإن الناظر لمحتوى هذه العلاقة الاشتقاقية و البنيوية يستقرأ مدى التلازم الذي تميز به القرآن بما انه نزل بلسان عربي وهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف،وإذا كان تبليغه أهم ركن في العقيدة الإسلامية،فإن المهمة الكبرى التي يقتضيها هو تبلغه للعالمين أجمعين و نشره،ما يطرح النظر في كيفية تبليغه،هل تكون عبر ترجمة معناه دون الخلل في مبناه؟أم أن تفسيره هو الذي يترجم،ولكن تعدد التفاسير يطرح إشكالية أخرى،ما التفسير الذي يترجم له علما أن هذه التفاسير حمالة أوجه؟وما التفسير الذي يؤخذ به حال الترجمة في ظل تعدد اللغات واتساع الثقافات؟

لم يترجم القرآن إلى لغات أخرى في عهد النبوة وقد أرسل رسول الله أصحابه للإقرار بنبوته لملك الروم هرقل وملك الفرس (كسرى)وملك الحبشة (النجاشي) وملك الأقباط (مقوقس)،ولكن باتساع رقعة الإسلام ودخول الشعوب غير العربية فيه ألزم النظر في واقع هذا الأمر من حيث وقد عرض حال ترجمته وغيرهم.

عُني التراث الإسلامي منذ بداية تشكله بدراسة واقع ترجمة القرآن في عهوده الأولى إلى العديد من اللغات بحكم شموليته وعالميته،ووقفوا على مسائل معقدة في إطارها العقدي والفقهي واللغوي والدلالي والإعجازي،ما يدلل على أن الاهتمام بإشكال ترجمته لم يكن وليد العصر الحديث والراهن،بل يعود إلى فترات متقدمة في تاريخ الترجمة،باستثناء فترة النبوة ومابعدها إلى حوالي 12 قرنا حيث ذكرت الأبحاث أن الصحابي سلمان الفارسي قد ترجم معاني سورة الفاتحة للفارسية لكي يتسنى لقومه أن يفهموها ويقرءوها أثناء صلاتهم. (جلال الدين 2008م،07)

كما أن الإمام أبا حنيفة قد جوز بقراءة القرآن بالفارسية وذلك بحكم جدة القرآن في ذلك الوقت وعدم معرفة الكثير من الفرس العربية،فاقترح أبو حنيفة أن تترجم بعض سوره للفارسية وتكون بمثابة الدعاء الذي يقرأ في الصلاة،واستمر هذا الحال حتى أدركت الفرس اللسان العربي وخشي من تحديات وفتن فرضت على القرآن وأتباعه فتنازل بعد ذلك على هذا الأمر،وألزمهم بقراءة القرآن عربيا. (جلال الدين،45).

ينبثق من هذا التحول في واقع الترجمة معرفة مدى خصائصها واختلافها،ومشروطيتها وآفاقها المتعلقة بالمحافظة على وحدة النص ومعانيه الظاهرة و الخفية،والبحث عن تقارب الدلالي الذي يفتح النص على قارئيه ومقرئيه من جميع الجنسيات،ما يحلل نمط تداخلها مع منهج التفسير ويطرح الإشكال التالي: ما المسافة التي يطرحها تداخل الترجمة بالتفسير،وهل كل ترجمة تفسير أم أن كل تفسير ترجمة،أم أن التفسير غير والترجمة غير؟ تعرف الترجمة على حسب أقسامها والتي تنقسم إلى قسمين: الأولى،ترجمة حرفية والتي يتم فيها نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة المترجم لخصائص نظم الكلام وقواعد تشكيل النص و بنائه،والمحافظة على انسجام معانيه في لغته الأصلية،أما الثانية فهي ترجمة المعنوية او التفسيرية وهي التي تشرح الكلام بمعناه في لغة غير اللغة الأصلية التي انطلقت منه هذا النوع من الترجمة،دون مراعاة نظم الأصل في اللفظ وبدون المحافظة على معانيه الأصلية في لغته الأولى. (فهد 2003م،15)

ومادام القرآن قد اخضع لهذا النوع من الترجمة،فما حكم تعددها وتباينها حال تطبيقاتها على النص القرآني؟،

قد أشار العلماء في واقع ترجمة القرآن الكريم إلى ضرورة النظر في الصور التالية:

_ **تحريف المصطلح اللغوي:** ويعني به تبديل المصطلح وإخراجه إلى دلالات خارج مدلوله و منطوقه وعمله ،بجعل من الحقيقة القرآنية نسبية وهو الكلام الرباني المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،وينجر عن هذا التحريف،تحريفات على مستوى العقيدة و الشريعة.

_**تحريف المصطلح العقدي**:ويترتب عنه توجيه المصطلحات إلى وجهة غير وجهتها الحقيقية التي ضبطها النص وحددتها العربية بتضادها وترادفها ونحوها وإعرابها،وبالتالي لا تتفارق مفاهيم الإيمان و الكفر،و المسلمين و اليهود و النصارى.كما أن الوحي ليس هو الإلهام،والإيمان الإسلامي ليس هو الإيمان المسيحي أو اليهودي،بحيث يضطرب التصور في قراءة ترجمة من الترجمات التي لم يجزها بالمطلق العلماء.

_**تحريف المصطلح التشريعي**: وينبثق من هذا التحريف عدم معرفة ضوابط التشريع التي عملت المصطلحات القرآنية من تحديدها وضبطها،وإخراج المصطلحات إلى وجهة في المعاني،وإعطائها دلالات غير دلالتها الحقيقية،بحكم القراءة الموضوعية لها مع متطلبات العصر والعرف الإنساني العام،ومن ثم تتعطل أحكام الشريعة ويتوجه التشريع إلى مجالات أغمض وأعقد في التحقق. (فهد بتصرف 23،76)

يتولد عن هذه الانحرافات أحكام مختلفة للترجمة و المتمثلة فيمايلي:

_**حكمها من الناحية التفسيرية:** يقول الله تعالى: (**و**أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون) (النحل، 44)،ويعلل هذا الحكم الانحرافات اللغوية و العقدية و التشريعية،كما يستوضح البنية الشكلية للألفاظ من جهة،وطبيعة اندراجها ضمن النص المقدس من جهة أخرى ومعرفة الأبعاد الخصوصية لأصل اللسان العربي وتفرده بالخطاب القرآني،هذا ما يقدم رؤية أصلية لتفسيره من منطق اللسان الأصل،والإصرار على تبليغ القرآن بجميع وجوه العربية التي وقف على عللها و أصولها علماء اللغة العرب الأوائل.فكان للحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الدور الكبير في فهمه وإدراك معانيه. (جلال الدين ،20)

(قُلْ لَئِنْ اِجْتَمَعَتْ الْإِنْس وَالْجِنّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضهمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) [الإسراء 88]،وهنا يتأشكل الموضوع وتزداد توتراته،فمن حيث النظر إلى مرجعية اللسان العربي،فإن علماء النحو و البلاغة والتفسير بجميع مدارسهما قد أجمعوا على تفرد العربية بالصفات والأسماء وأدوات الربط والإضافة و الإشارة وخصائص الإعراب والتقديم و التأخير التي لا يوجد لها مقابل في اللغة المترجم إليها.وبالتالي تستحيل الترجمة **بشروطها العادية** لكون أن القرآن معجز وإعجازه أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله،وترجمة القرآن لابد أن تتوفر فيها شروط الوفاء و الصدق للمعاني كلها لتكون حينئذ الترجمة وفية للمعنى الأصلي. (جلال الدين ،27)

أما استحالتها الشرعية فهي تبنى على النقاط التالية:

_ نظرا لأن القرآن حمال أوجه وكل مفسر يأخذ بما يوافق تكوينه وتأويله،فإن ترجماته ستتعدد بتعدد هذه الفهوم، وينتج عنه شبهة تعدد نسخ القرآن واختلاف رؤية كتاباته كل مترجم على حدا.وبالتالي يقال هذا قرآن فرنسي،وهذا قرآن إنجليزي،وهذا ألماني وتضيع العربية وعلومها التي صانت القرآن من التحريف و التشكيك ،

_ إذا اعتبر الناس هذه الترجمات قرآنا،فإن القرآن الرباني يغدو لا وجود له ولا موقع،ويصبح ظاهرة ترجماته حالها حال ترجمات الكتاب المقدس الذي اختلفت فيه هذه الترجمات ذاتها وشتان ما بين القرآن الكريم،وبين الكتاب المقدس. (جلال الدين ،27)

أما حكمها من حيث ترجمة تفسيره إلى لغة أخرى : فلا حرج أن تتم ترجمة بعض المفاهيم القرآنية وإحالتها على معنى قرآني يبسطها ويوضحها بلغة الآخر دون الاعتقاد الجازم بأنه قد ترجم القرآن نفسه،لذا فإن ترجمة المعاني الأصلية للقرآن كله أو لجزء كبير منه متتالي الآيات فيلحقها من الخلل ما يوجب الحذر منه،ولعل سبب الحذر هو أن يظن ظان أن هذا المترجم قد استوعب معاني القرآن كلها من جميع جوانبها ونقلها إلى اللغة الأجنبية. (جلال الدين ،32)

ومن ثم وقبل أن تكون لغة القرآن هي مجال الدراسة و التحويل فإنه يقتضي النظر إلى مصطلح عربية القرآن الذي يختلف عن العربية العادية ومن ثم فالإشكالية اللغوية لترجمة معاني القرآن ستظل تطرح إشكالات مستمرة لا تنفصل في جوهرها عن مشكل خطير متعلق بالسياق المعرفي و الديني و الحضاري الذي ينتمي إليه المترجم سلبا" (العزب2006م،31، 32) .

اختلف علماء السلف وفقهائهم في أحقية مبدأ جواز ترجمة القرآن إلى غير العربية ،فالشافعية أقرت أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير العربية سواء في الصلاة آو في غير الصلاة، والحنفية يقال كما أسلف ذكره انه أجاز الترجمة ثم بعد ذلك تراجع بمعرفه القوم اللغة العربية، أما المالكية فقد رفضت جواز الصلاة بغير العربية كما رفض ابن قتيبة (828_889م)ترجمة القرآن نظرا للقوة

المجاز التي امتازت به العربية و الذي لا وجود له في اللغات الأخرى،كما عارض ابن حزم الظاهري(994_ 1094م)وابن تيمية(1192_1255م)والإمام الغزالي(1058 _1111م)والرازي(1150_1210م) بالإضافة إلى معارضة الإمام السيوطي(1445_1505م) وبدر الدين الزركشي(1343_1393م)ومحمد عبده(1849_1905م) (العزب2006 ،38).

وفي مقابل هذا النفر الذي رفض ترجمة القرآن جملة وتفصيلا إما لاعتبارات خصوصية الدين أو لاعتبارات خصوصية اللغة،أو لاعتبارات خصوصية المقدس في القرآن،فإن نفرا آخر من علماء المسلمين أجازوها لاعتبارات كذلك، وهي الترجمة والقراءة به خارج الصلاة وهم: الإمام النفسي(710ه_1149م) و الصنعاني1059ه_1152م) والإمام الشاطبي(590ه_1149م) ،وكانت آخر معركة حول ترجمة القرآن على إثر سقوط الدولة العثمانية والتي كانت بين فريقين من العلماء، الأول مانع ومشدد على عدم ترجمته وكان يقوده الشيخ مصطفى صبري مفتي الديار العثمانية وألف في ذلك كتابا سماه(مسألة ترجمة القرآن) وفريق آخر يسمح بجواز ترجمته هو الشيخ مصطفى المراغي(1881_1945م) ولكن بشريطة ألا تعد الترجمة هي النسخة الحقيقية للقرآن وهو أول من استخدم عبارة ترجمة معاني القرآن (نفسه ،40،39).

انبثقت مع الاحتكاك بين الشرق والغرب،أو بين الإسلام وأوروبا ترجمات كثيرة على إثر بداية الحروب الصليبية الأولى التي افتتحت ترجمة القرآن في الغرب، تلتها ترجمات عديدة رافقت الحملات الإستشراقية على العالم الإسلامي وبتزايد اهتمام باحثيه وسياسيه بأهم ما ميز الحضارة الإسلامية لمعرفة بنيانه من جهة وللسيطرة وتحريف المرجعية و التحكم فيها من جهة أخرى،وقد قدم الإستشراق الفرنسي ترجمات عديدة للقرآن ترافق في أغلب الأحيان في الصدام الذي يقع بين الإسلام و أوروبا وكان لجاك برك أن قدم ترجمة للقرآن ،غرضه في ذلك خدمة الجالية العربية و المسلمة في فرنسا لكونها لا تعرف العربية وهي بحاجة ماسة للقرآن، فاضطرار لترجمته حتى يكون في خدمتهم(زينب2001م، 55).

فما طبيعة هذه الترجمة التي أقدم عليها جاك برك (jaque Berque)؟

وعلى أي أساس بنت الترجمة الفرنسية القرآن الكريم وأعادت له الصيغ الخاصة به فرنسيا؟

كيف ساهمت ترجمات ريجيس بلاشير (Régis Blachère) وكازيمرسكي(Abert Kazimirski) في إعادة بناء الظاهرة القرآنية،التي أعيد بها النظر إلى معاني علوم الوحي كعلوم التنزيل وعلوم القراءات و علوم التفسير؟

3 -ترجمة القرآن في المعترك الإستشراقي الفرنسي:

ولد جاك برك من أصول فرنسية،في مدينة فرندة بولاية تيارت في الجزائر شهر يونيو عام 1915م،بعد إنهاء دراسته الثانوية في الجزائر،سافر إلى فرنسا ليواصل تعليمه الجامعي في السوربون،بعد ذلك عاد إلى المغرب وعين في عام 1934 مراقب مدني في إحدى المحاكم الداخلية،ثم مساعد بلدي في مدينة فاس،أمضى قرابة ثلاث سنوات في الريف المغربي،وفي عام 1943 التحق بالإدارة العام للانتداب بالرباط،تطورت الحركة الوطنية في المغرب ليصدر جاك برك تقريرا عنوانه " نحو سياسة فرنسية جديدة في المغرب عام 1946م مما أدى به هذا التقرير في نفيه إلى منطقة الأطلس، حيث أنجز بحثه الدكتوراه حول هذه المنطقة، بعدها غير التوجه والترحال نحو مصر،ويهتم بدراسة ما يسمى (الإسلاميات)، ليمنح له عضو مجمع اللغة العربية،ومن أبرز مؤلفاته: العرب بين الأمس و الغد1959،أندلسيات1981م،القرآن محاولة ترجمة،1991م،إعادة قراءة القرآن،1995م توفى سنة1995م. (الشيخ1999م،22_23)

كان لترجمة جاك برك للقرآن بمثابة الحدث العلمي الذي باركته كل المؤسسات الثقافية الفرنسية،لأن ترجمته تزامنت مع المشروع الغربي الداعي إلى تفعيل حوار الحضارات من جهة، ولتقديم صورة الإسلام الحقيقية التي مثلتها ترجمته المحرفة للكثير من الوقائع والتموضوعات اللفظية باعتبارها قرآنا،والقرآن لا تخرج تفاصيله ومداليله عن مساحات العنف والإرهاب، التي عبرت عنها الشحنات الإيديولوجية التي شكلتها ترجمته و التي كشفت عن تناقض المنطق الباركي الذي لم ينفصل عن منطق المدرسة الإستشراقية الفرنسية التي تكيل بمكيالين والتي كان من مهامها التاريخية هي إيقاف المد الإسلامي بأي طريقة خاصة في ظل تزايد الصراع الإيديولوجي بين الشرق و الغرب،وقد أحدثت هذه الترجمة إعادة النظر في رؤية الغرب إلى العرب و المسلمين المقيمين على مساحاته ومحاولة إعادة ترتيبهم وفقا للوعي المزيف الذي استحدثته موضوعات الترجمة، والتي كان لجاك برك أن قدم عدة تبريرات للتملص من أخطائه ولتمويه الرأي العام الإسلامي من معرفة حقيقته الكبرى وهي تدمير الإسلام وادعائه معرفة العربية ومصادرها الكبرى التفسيرية عبر ترجمته للقرآن.فمن هو جاك برك؟

من الشروط المسبقة التي تميز يها الإستشراق الفرنسي ومنطلقاته هو الاهتمام البالغ بدراسات القرآن و الانفتاح في ترجمتها لأغراض علمية أو غير علمية،ما يقتضي فهم الفترات التي يم فيها الترجمة والأحداث الجارية العالمية الكبرى خاصة في حال

تصدع و انشقاق في العلاقات بين الاسلام والغرب أو في تقاربها،فقد كانت أولى بدايات الاهتمام بترجمة القرآن ما قام به رئيس دير كلوني (بطرس المبجل) في برنجديا الصدارة الأولى في ترجمته إلى اللاتينية وبإشراف (**بطرس الطليطلي)** و(**روبرت كينيت**) وبمعاونة عربي مسلم يدعى (***محمد)*** لا يعرف منه نسبه أو كنيته شيء، وقد كانت هذه الترجمة سنة 1143م وطبعت في سويسرا حيث أشرف(**دي بواتيه**) على مراجعة ترجمتها،وقد نشر هذه الترجمة (**تيودور بيلينادر**) وعن هذه الترجمة،تمت الترجمة الإيطالية سنة1574م،وعن الترجمة الإيطالية كانت الترجمة الألمانية سنة1616م وكانت أول ترجمة للفرنسية سنة 1647 من طرف دي ربير وقد ترجمت إلى لغات أخرى وهي: الإنجليزية ثم إلى الهولندية ومن الهولندية إلى الألمانية (العاني2001م،24).

اهتم الإستشراق الفرنسي بترتيب البيت العلمي لمعرفة جوهر ما يحرك هذا الشرق الذي أصبح في نظر الكثير منهم أرض ظلام أو توحش،تربع على ساحة البحث الاجتماعي و الثقافي الفرنسي المفكر الفرنسي جاك برك ،وقدم في ذلك عدة دراسات متعلقة بسوسيولوجيا بلاد المغرب و الجزائر،كما أنجز ترجمة خاصة للقرآن اكتنفته جهودا كبيرة لإخراجه بشكله النهائي،كون خصوصية جاك برك لا تتحدد بموقعه الثقافي المتعدد مابين فرنسا والقاهرة و الجزائر فقط،ولكن قراءة كتاباته وترجمته هي التي تطلعنا على صورة أولية لعقله المحض وأنساقه الفكرية التي انطلق منها باعتبار القرآن وشرقه مادة دراسية خاصة لا تنفصل عن المهام الكبرى للإستشراق في فرنسا،ولا تنفصل عن محاولات ممن سبقوه كريجيس بلاشير(Régis Blachére) وكازيمرسكي(Kazimirski) كما لا تستقل عن ردود الفعل العربية عن موضعة ترجمته في سياق مقبول أو مرفوض بناءا على التحيز المعرفي و الديني الذي ينتمي إليها أي ناقد أو مساند لعمل جاك برك،ومنطلقات جاك برك في ترجمته كانت من خلال البعد النظري الذي استلهمه من دروس اللسانيات المعاصرة ومناهج التأويل و التفكيك و الفينومينولوجيا التي باشرت تطبيقتها على الكتاب المقدس،يكون لجاك برك هذه المرجعية المنهجية و الفكرية التي أحالت الكتاب المقدس للتفكيك و التحليل، في محاولة إسلامية تطبيقية على القرآن لتقديم جديد له على ضوء فلسفات معاصرة جديدة.قد أشاد محمد أركون بهذه التطبيقيات في قوله:" تشكلت النصوص الكبرى،التوراة، والأناجيل،والمصحف،ولم أقل القرآن لأنه يدل على الشيء المادي الذي نمسكه بين بأيدينا(...) ولأنه يقابل التوراة و الأناجيل بالضبط(...)قد كرست هذه النصوص طبقا لمجريات مبلورة ومضبوطة من قبل السلطات العقائدية،ثم رسخت على هيئة مدونات نصية مغلقة(...) وقلت مغلقة لأنه لم يعد مسموحا لأي كان أن يضيف إليها أي كلمة أو يحذف منها أي كلمة،أو يعدل في المصحف أي قراءة معترف بأنها صحيحة " (أركون،77).

ومن هذا المنطلق كان لجاك برك أن يتبوأ صدارة ترجمة القرآن في حلته الجديدة،لتضاهي علاقات الإسلام و الغرب المتأزمة لعلها ترأب صدى هذا الصراع في مكونه المحلي و العالمي،وفي خصوصيته الاجتماعية والعلمية و الطبقية،وهو الذي يرى البنية التكوينية للقرآن معقدة وصعبة جدا من حيث النظر إلى طريقة كتاباته في شكله التوزيعي الذي يبنى جمله ومفرداته وحروفه وأدوات ربطه بأشكال المنطق المتعدد ومناهج علم اللغة التي توصلنا إلى عدم بلوغ اليقين التام في الوصول إلى نتائج قاطعة.هذا ما يفسر قراءته التي شككت في مايلي:

_ قضية جمع المصحف وتوحيده والذي يرى فيه جاك برك أنه لم يعتمد فيه الترتيب الزمني للآيات و السور.

_ لم يراعى فيه الترتيب الداخلي للآيات ،والتي يرى فيها فوضى وتداخل لا منطقي بين الموضوعات.

_ لا معنى لعناوين السور التي لا تتطابق تطابقا كليا مع مضمون الآيات التي احتوتها.وبالتالي الجزم أنه لا معنى موحد يوجد لكل سورة مستقلة عن الأخرى. (أبو العلا دت ،13_14).

بناءا على هذه المعطيات تكون ترجمة برك للقرآن واضحة لا من حيث المنهج الذي نظر به إلى تاريخية القرآن وظروف تشكله ولا من حيث المقصد والنية التي انعكست في عمله و الذي يوضحه الاضطراب في ترجمة عناوين السور و مضمونها،كما أن " علم الترجمة يعلمنا أنه لا يجوز لأي مترجم بأي صور من الصور أن يتلاعب بأي نص يترجمه تقديما او تأخيرا لأن هذا يخرج الترجمة عن وظيفتها الأصلية ،ثم أنه يؤدي إلى تغيير جذري في معنى النص وفي مراد الكاتب الأصلي للنص" (الخطيب دت،28).

قد وقفت زينب عبد العزيز الباحثة المصرية على أصول هذه الترجمة والتي تعد التفاتة كبيرة جدا لما لها القدرة الكبيرة في الرد على ترجماته وبحكم تخصصها وتكونها ذي المرجعية الفرنسية فإنها واكبت هذا الإشكال بكل حذافيره انطلاقا من فهمها واستيعابها لحقيقة المناهج العلمية التي وصلت إليها المنظومة السياسية والعلمية الغربية،وهذا ما عكسته مؤلفاتها التالية:الإلحاد وأسبابه(الصفحة السوداء للكنيسة)،حرب صليبية بكل المقاييس،تنصير العالم(مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني)،من حائط البراق إلى جدار العار،محاصرة و إبادة(موقف الغرب من الإسلام) والتي أوضحت فيه زينب عبد العزيز المهمة الكبرى للغرب في الإطاحة بعرش القرآن ومحمد وتبرز أهم الدوافع التي انطلق منها جاك برك في ترجمته رغم وجود ترجمات قبله،فتقول في هذا

الأمر مايلي: "إن ترجمة جاك برك للقرآن التي صدرت عام 1990م،لم تكشف أنه ذو وجهين،فحسب،بل إنه يفتقد الأمانة العلمية في ترجمته وأسلوبه الذي يشي عن التعصب مغرض أدى به إلى تشويه صورة الإسلام(...)ومن المؤسف أن يقوم أحد تلاميذه ليعلن على لسانه في مؤتمر (نحو مشروع حضاري جديد)المنعقد في جامعة القاهرة في يونيو حزيران1990م،عقب إشارتنا إلى هذه الترجمة المغلوطة قائلا:إن جاك برك يتأسف لما صدر عنه عفوا وهو على استعداد لتصويب الأخطاء" (زينب 2001م ،55).

ومن هذا يتوضح المنطلق الريبي الموجود في ترجمة جاك برك،فهل يعقل أن مختصا في الدراسات الإسلامية و الشرقية،يقحم نفسه في ترجمة كتابة دون أن يدري بأدق تفاصيله وبحركاته وسكناته وبخصوصيته المتفردة عن سائر الكتب الدينية؟،ألم يدر بأن الكلام والخطاب و الحرف والإشارة و الأداة والذات والموضوع وغيرها من المسائل،تنفرد من نسق إلى نسق آخر وتختلف من حضارة إلى حضارة؟ أليس اعتذاره هذا كما أشارت إليه زينب عبد العزيز يحمل في ذاته وجهين:إما من وجهة إيديولوجية على اتصال بها،وإما من وجهة علمية وعلمية بالموضوع الذي ترجمه لا اتصال دقيق بها.هذا ما أكدته زينب عبد العزيز من خلال وقوفها على أهم العلل التي استوقفتها الترجمة بالنظر إلى مساحات تكونه التي عكستها مقدمة ترجمته بالنظر إلى مايلي:

_ تأثر القرآن بالشهر الجاهلي و الفكر اليوناني، _تأثر القرآن لمزامير داوود النبي،_احتواء القرآن لخط مثيولوجي،

_الفظاعة التي ظهرت بها صورة الله على حسب تخيله كما وردت في القرآن،ولكي يصحح هذه المعطيات لابد له من تطبيقيات لسانية وتاريخانية وسميولوجية تعيد النظر في المسائل التالية:

_ انتقاده لمعيارية القرآن وإخراجه إلى مساحات أبعد من تقنين التقنين للفظ و المعنى.

_غموض الأحكام الموجودة في القرآن هذا ما ولد في نظره الصراع بين المذاهب و المفسرين.

_أدى هذا الغموض في الأحكام إلى تناقض الشريعة،مما دفع إلى تكون الجماعات الإسلامية وغلوها فيما بينها في قضية القرآن والتشريع ماضيا و راهنا.

_إثارته للقضية العلمانية وفصلها عن الدين بمسمى فصل الدين عن الدولة، وخلق قرآن جديد يتناسب مع الإنسان المعاصر،كما يتناسب ومبدأ العلاقات بين الإسلام و الغرب؟(زينب 2001م ،57_58).

وإذا كانت هذه التساؤلات التي طرحها برك تنبع من تخصصه وعلميته التي تبحث عن الحقيقة الموضوعية في شكلها النزيه،فلماذا لم يساءل برك كتابه المقدس بشقيه القديم و الجديد،لأن البحث في الآخر يستلزم أولا وقبل كل شيء البحث في الأنا وفهمها واستيعابها وتصحيح أخطائها وأوهامها،قد ترك سقراط مقولته المشهورة وهي أعرف نفسك بنفسك،التي تستلزم (اعرف نفسك قبل غيركـ)،أو (اعرف نفسك ثم غيرك)، لنسأل ترجمته كالتالي:إذا كان القرآن كلام الله تافه ومتشابه في صيغة تكرارية غامضة غير مفهومة،فهل نظر إلى التناقض المرتكب في دلالة الكلمة والرب في الأناجيل الأربعة؟ألم يسأل نفسه لماذا لم يكن الإنجيل باسم عيسى؟ ألم يطلع على انتقادات نيتشه وسبينوزا وموريس بوكاي لعهده الجديد؟.

وترى زينب عبد العزيز أن جاك برك قد تناقض في إبراز موقفه من الترجمة التي أقدم عليها مبينا مرة مدى سلاسة الألفاظ وجمالها وتوافقها مع معاني الأصل القرآني ،وفي مرة أخرى يبين الصعوبة التي واجهته في تعيين اللفظ وموضعته ضمن الإطار العام و الخاص للنص القرآني،ومن ثم لم يدرك بنيات وخصائص الكلمة واللفظة العربية ونقلها إلى الفرنسية ومحافظته على الترتيب العربي وترجمته مباشرة إلى الفرنسية،الأمر الذي أوقعه في مغالطة كبيرة،أدت إلى اعتذاره وإعادة طبعه لنسخة أخرى التي صدرت عام 1993م . (زينب 2005م ، ،14)

وعند إطلاعي على الترجمة الثانية لم أجد أي تغيير أو أي إصلاح ولا فرق بين الترجمة الأولى والترجمة الثانية،والملاحظات الدقيقة التي وجهتها له زينب عبد العزيز قد بقيت على حالها ما يثبت عدم جديته في التصحيح ،وأن الاعتذار الذي تقدم به ما هو إلا مسرحية مثلها أمام العالم الإسلامي،وبقيت انتقادات عبد العزيز ثابتة على الترجمة الأولى والترجمة الثانية، وقد استعرضت نقدها لجاك برك في عدة قضايا ومواقع وهي:

أولها:طبيعة غموض منهجه في ترجمته عموما:

1.ما تعلق بأسماء السور:وقد تمثل في المحافظة على بعض العناوين من السور لم يترجمها وأبقاها على حالها الأصلي ولكنه دونها باللغة اللاتينية،ومن هنا يطرح السؤال:هل السور التي كتبها باللاتينية تبين فهمه لها في نطاق تكونه ومرجعيته،والسور التي ترجمها تبرز في الوقت نفسه عدم فهمه لها؟

مثل:سورة الحجر،فكتبها(AL- Hijr)وسورة الأحقاف كتبها(AL-Ahqaf)أما المتاقض في أسماء السور الأخرى فقد أطلق عليها تسميات لا تحمل مضمونها أصلا كما تتنافى مع جوهر القداسة النصية،فسورة الفاتحة ترجمها إلى (ouverture) بمعنى

المفتوح،آل عمران (La famille de imran)،مع أن هناك فرق بين آل والعائلة،الأولى: تطلق على النسب المستمر وبالتالي يقتضي فهمها الاتساع،والثانية: تطلق على أفراد قليلين،كأفراد الأسرة،وتأخذ معنى التحديد والضبط،سورة الحجرات(Les Apartement)وسورة الإسراء،(le Traget nocturne ou les fils Israël) بمعنى المسيرة الليلية، حيث يجعل من هذا العنوان تلك التذكرة التي لا تنفصل عن قصة خروج بني إسرائيل في سفر الخروج من العهد القديم،وبالتالي فهو يتعهد الكتاب المقدس في إحلال معانيه مكان المعاني القرآنية وليقترب الحوار أكثر فأكثر ما بين اليهود و المسلمين في الحوار الحضاري لا في الصدام الحضاري كما يراه جاك برك،كما أنه يعطي الشرعية لبني إسرائيل ففي هذه السورة على ما عداهم وينفخ في نصوصها وألفاظها ومواقفها التاريخية .

غير أن زينب عبد العزيز قدمت أسماء للسور في ترجمتها القرآن إلى الفرنسة ،وحافظت على الأسماء لكي تحافظ على معناها الظاهري و الباطني، ردا على اقتراف برك ، وفي المقابل وضعت أسماء السور في ترجمتها بحسب نطقها في العربية مع اجتهاد كبير في تبيين البنية المورفولوجية لعناوين السور، والتي وضعت لها بعض الرسوم الخاصة من الاستثناءات الفونيمية،وقابلت بين العناوين التي تم وضعها في نسخ المترجمة في اللغات الأوروبية وبين العناوين الأصلية حتى يتسنى للقارىء أن يفهم المعنى الحقيقي لكل السورة ،وفي الوقت نفس ذكاءا من زينب عبد العزيز لكي تحدث تغييرا تاما في محتوى الترجمات التي تم تحريفها من طرف من تولى ترجمة القرآن في اللغات الأوروبية،وعناوين السور هي كالتالي:

_ الفاتحة: (Al-fA͞TIHA)وليس كما ترجمها جاك برك إلى (OUVERTURE).

_ البقرة :(A͞L-BAQARA)، وليس ترجمها برك(LA VACHE).

_ آل عمران: (A͞L-IMR AN͞E) وليس(la famille,IMR، AN͞E).

_ النساء: (AN-NIS A͞) وليس,(les femmes)

_المائدة: (AL M A͞IDAH) وليس (La table)

_ الإسراء :(AL-I'sr a͞) وليس (fair le partir de nuit)(Z .Abdlaziz,1990).

وما ميز نظام الترجمة عند زينب عبد العزيز أنها حافظت على حقيقة أسماء السور واجتهدت في وضع رموز خاصة لإعطاء الحرف العربي المتحول في اللغة الفرنسية حقيقته العربية القرآنية وليس الفرنسية.

2_ما تعلق بالألفاظ التي استعملها:

أ_إلغاء نزول الوحي : أن كلمة النزول ترجمها ب (Descente)والتي لا تتطابق مع مفهوم النزول ذاته والذي يقتضي تنزيل الوحي الذي تشكك فيه المدرسة التاريخانية هذا ما يثبت أن جاك برك قد عمد إلى هذا النوع من الترجمة من جهة ومن جهة أخرى نثبت جهله بأبسط قواعد المعنى في العربية، بشأن كلمة النزول تقول زينب عبد العزيز:" وبغض النظر عن ركاكة الترجمة،فإن كلمة (النزول) هنا تعبر عن حركة النزول المقابلة للصعود،أي أنها لا تدل مطلقا على التنزيل أو على تنزيل القرآن أو على الرسالة وهو ما تحاشى ترجمته حتى لا يوضح أن الإيمان بالغيب من أسس الإسلام مثلما هو من أسس العقيدة المسيحية الخالصة". (زينب 2005م ،26)

فمن حيث الموضع القرآني لكلمة النزول(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [البقرة:2].

ترجمها جاك برك :

_ils croient à La descente sur toi opérée, a Celle avant toi opérée ; ils ont certitude ,eux, de la vie dernièr (J. Berque1995, 26)

وترجمتها:إنهم بالنزول الذي تم عليك،وبالنزول الذي تم من قبلك،لديهم يقين،هم،بالحياة الأخيرة، وبالتالي فإن الكلمة قد أخرجها من سياقها الخاص،ما ولد ركاكة فظيعة يستحيل أن تدرك بها المعاني الخصوصية و الشمولية للآية و السورة ،واقترحت زينب ترجمة بديلة وهي :

_Et ceux qui croient en ce qui t'a été révélée ce qui a été révélé avant, toi, et croient foncièrement en La vie future. (Z Abdelaziz., 60)

ب_ عسكرة القرآن:موضع الآية قرآنيا: (يَا دَاوُد إِنَّا جَعَلْنَاك خَلِيفَة فِي الْأَرْض) [ص، 25].

ترجمة جاك برك:

_David Nous t'avons donné Lieutenance sur La terre (J .Berque1995, p48)

فكلمة خليفة ترجمها إلى(Lieutenanc) والتي تعني رتبة عسكرية بمعنى ملازمية،ليثبت أن القرآن قد انتشر بالسيف و أعطى من خلال هذه الكلمة لداود الصورة التي رسمها له العهد القديم .

وقد ترجمتها زينب عبد العزيز على الشكل التالي:

_O David, Nous Avons Fait De toi un remplaçant sur terre (Z.Abdelaziz, , 557).

د_ في أمية محمد صلى الله عليه وسلم: الأصل القرآني(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُول النَّبِيّ الْأُمِّيّ) [الأعراف: 157].

ترجمة جاك برك:

_en faveur de ceux qui suivent L'Envoyé, le prophéte,natif (J .Berque**,** 181)

فقد ترجم الأمي إلى الأمومي أو الأمومة المنسوب إلى الأم (Matirnal)حسب الترجمة الأولى،وقد زاد الطين بلة في الترجمة الثانية وترجم الأمي إلى (natif) بمعنى الذي ولد، أو المولود،وبالتالي ينفي أمية النبي كونها القاعدة الأساسية لإثبات نبوته من جهة،ومن جهة أخرى يثبت بشرية القرآن ،وعلى أنه من تأليفه ومن نظمه،بل هو كلام من رب العالمين، رغم أن(natif) تعني كل ما هو طبيعي وفطري(Petit la rousse ,1986, 671) إلا أنها لم تؤدي المعنى الموجود في الآية.

وقد سلك مسلك المدرسة التاريخانية في ترجمته متسلحا بمناهجها الهدامة لشريعة القرآن المقدسة،بحجة التنوير،وتسهيل عمل المتنورين في النظر إلى النص الديني وإعادة تبيئيه بالطرق التي تدعوا إليها انساق الحداثة وخطابات العلمانية،التي تشدق بها الكثير من المفكرين العرب رغم التناقض الصارخ والفشل الذريع الذي منيت بها تطبيقاتها في الغرب ذاته سواء من جانب قراءة نصه الديني وتفكيكه،أوفي الترشيد العلماني الذي ابتلت به المؤسسات السياسية و الدينية أيضا.وقد لاحظت زينب عبد العزيز أثر هذا النهج في ترجمة جاك برك للقرآن،وكان له من الأحسن أن ينظر أولا في موضوع الحداثة و الأصولية في الغرب الكنسي ويطلع على أبحاث الآباء المسيحيين من أمثال: ألفريد لوازي،وإدوارد لوروا ،وآلبرت هوتين،والأسقف دوشين،ورودولف بولتمان،وما كتبوه اتجاه العقيدة المسيحية المحرفة. زينب عبد العزيز ***(2005م،*** 79،).

وقد ترجمة زينب عبد العزيز (**النبي الأمي**) من سورة الأعراف الآية 157 لتعطي للنبي حقيقته الأصلية و التي تثبت أميته من خلال أنه لا يقرأ، وردا على ما ترجمه برك في الشكل التالي:

_Ceux qui suivant le Messager, le prophète analphabète. (Z. ABDELAZIZR ,234).

كما تسأل بلاشير عن معنى الأمي في كتابه مقدمة للقرآن: هل كان محمدا بالفعل لا يعرف القراءة والكتابة وما علاقته بكلمة الأمي التي وصفه القرآن بها؟ولكنه يصل إلى أن المعنى المراد بها هو نبي الأمم وليس الذي لا يعرف القراءة و الكتابة 1996،.15) .
Régis)

وبالتالي يظهر تناقضا كبيرا في فكر برك و ترجمته، وما يكشف هذا التناقض موقع الثقافة التي انطلق منها والخلفية العلمية التي أسقطها على مشروع ترجمة القرآن،لتظل مشكلة عدم تناسق المفاهيم الخاصة بجاك برك مع محتوى المفاهيم القرآنية بمثابة المعركة التي لا تنتهي أطوارها إلا بفضح وكشف نية برك الخاصة تجاه القرآن

والملاحظ لما قدمته زينب عبد العزيز وتقويمها لترجمته،يبين في الآن نفسه قدرتها في توضيح الكثير من الحقائق التي أهملها أغلب المترجمين النقاد، واهتمامها لهذه المسألة من وجهة حسها الحضاري و الإسلامي جعلها تقدم على خطوة جريئة،لعلها ترد بها خطة جاك برك ومعاونيه في تشويه صورة القرآن،وكان لترجمتها للقرآن بالفرنسية بمثابة الإنجاز الحضاري المتميز الذي أحال ترجمة جاك برك الأولى و الثانية المنقحة التي ادعى تصحيحها إلى الأرشيف الكاذب الذي اخذ مجرى عدم فهم القرآن و لربما استغنى في ترجمته للنيل من قداسته ومكانته عند عموم وخصوص المسلمين كما ترى زينب أن هذه الموضعات التي استحدثها في الترجمة و التي ركز فيها على تغيير المفاهيم القرآنية الأساسية قد استند إلى هذه العناصر التي أظهرت مدى شقاقه ونفاقه في إعادة هيكلة القرآن من داخل حرفه ولفظه ونصه،وعمومه وخصوصه والتي تتمثل فيما يلي:

_ يحاول اختلاق الغرض ليدس بعبارات، تجعل القارئ يلتفت إلى عدة تلميحات تقربه إلى الفهم المسيحي الذي يبدو لفظا غير ظاهر في النص لكن معناه يشير إلى هذه المسيحية.

_ قد قام جاك برك بطمس العبارة اللغوية العربية في القرآن،بحجة نقلها إلى اللغة الفرنسية بنفس الإيقاع و الأثر،ولكن هذا الاختيار أخرج ما ترجمه عن وظيفته ومبناه لأن اختيار المعنى هو في الحقيقة البعد عن المعنى الأصلي الذي عبر عنه القرآن ،لتبقى محاولته في اختيار المعاني للألفاظ لا ترقى إلى مستوى الترجمة الحقيقية.

_ وإذا ما كان جاك برك ينسج اللعب بالألفاظ بهدف تغبير وجهة القرآن الحقيقية،إما لاعتقاده أن لا أحد يكشف مغالطاته،أو أنه يحتفي بترجمة أمينة لخدمة العرب و المسلمين الذين لا يعرفون العربية في فرنسا؟ ما يطرح قراءة جديدة لبرك من خلال القرآن الذي شكله والذي أظهره بوجه آخر يعطي في الوقت نفسه الصورة الحقيقية الأخرى لجاك برك (زينب 2005 ،63).

تصبح القراءة الإستشراقية للقرآن ومن هذا المنظور لا تمتلك في موضوعها و في منهجها أطر العلم الموضوعية التي تجعل من فهم الحقيقة إطارا غير محدد باستيعاب مفاهيم المفارقات الحضارية المتمثلة في الغيب والبنية الذي أراد لهما برك أن يحشرهما ضمن الفهم الودي للقرآن الذي ترجمه بالفرنسية وإيجاد مساحات العقلانية فيه ونبذ التعسف و العنف من خلال نبذه وتبديله للمفاهيم التي تدعو إلى هذا العنف(الشيخ، 27)

بالتالي يصبح الهدف المتوخى من الترجمة هو إيجاد نسخة مغايرة للنسخة الأصلية لإيقاف الحروب الصليبية الجديدة بين الإسلام و الغرب كما يزعم،وفي هذا يقول:" غالبا ما خرجت الترجمات القديمة بمعنى سخيف ومن دون منطق يربط بين الآية وغيرها مع أن هناك ترابطا بين الآيات،وفي ترجمتي انتهيت لذلك وخصصت اهتماما كبيرا للربط المنطقي،منطق التلاوة " (الشيخ، 27).

فأي منطق يتكلم عنه برك؟ وأي منطق تلاوة يحاول إحداثه في ترجمته القديمة و الجديدة؟ علما أن التلاوة في العربية لها أركانها وشروطها وحروفها وقواعدها؟ أم يريد أن يقرأ القرآن مثلما تقرأ الكنائس أناجيلها ؟وبالتالي تتضح نية برك من هذه الترجمات التي استحدث لها مفاهيم جديدة ومنطق قراءة جديد يتلازم مع علم التلاوة الذي يطمح إلى تحقيقه وقد وضعت زينب عبد العزيز في ترجمتها للقرآن إطارا جديدا من التصور الشكلي و المفهوم للكلمات والمعاني،وأصرت أن تبقى الكثير من المفاهيم على حالها لأن الضرورة الشرعية والعلمية و الحقيقية القرآنية تقتضي ذلك ولا يجوز إبدالها إلى لغات أخرى لكونها لا تحمل نفس المعنى الذي أراده الله تعالى من جهة ،ومن جهة أخرى لا تتطابق مع أنساق الترجمات الفرنسية و الإنجليزية،فمثلا:

القرآن يكتب (Qur'ān)-وليس(Coran) ،الزكاة (ZaKāt)،كما ترفض زينب عبد العزيزأن تكتب مكة ب(Mecque) بل تكتب ب(Makkah) ولا تكتب المدينة ب(Médine) بل تكتب ب(al-Madīnah) كما توضح حقيقة المصطلح في العربية من خلال سورة المؤمنون (Al MU' MINūN)التي حافظت فيها على المفاهيم العلمية والتي رأت فيها من الصعوبة ترجمتها إلى اللغات الأوروبية بحكم مبدئها العلمي الإعجازي وإذا ترجمت لا تؤدي الوظيفة الحقيقية مثلما تؤديه داخل الخطاب القرآني،وهذه الكلمات هي:

Firdaws_ nutfah _alaqah _mudgah (Z.Abdeaziz,p428)

وقد كانت هذه الترجمة بمثابة إعادة تأسيس منطق كتابة جديد لا يمكن إخراج ترجمة القرآن إلى حال العبثية مثلما ادعته مدارسهم الفلسفية و اللغوية التي تلاعبت بالألفاظ والكلمات ودون أن تراعي في ذلك حقا للمقدس،لتظل الترجمة هي ذلك العلم بقواعد اللغات وأنساقها الحضارية وتكونها البنيوي الذي لا ينفصل عن خصائص أي شعب من الشعوب لنفهم من خلال هذا الطرح ما قدمه الإستشراق من ترجمات والتي لم تخرج عن قلة فهمهم لمقام المقدس في القرآن أو لأنهم حال الترجمة " يفقدون أعصابهم وينسون مقامهم العلمي وترتج نفوسهم وتضطرب قلوبهم حينما يشغلون أنفسهم بالبحوث الإسلامية،وأحقاد العصور هي التي ملأت الصدور،وأمدت عليهم هذا الحقد و الغيظ الذي لم يستطيعوا كظمه في ظل حالاتهم".(نصري 2009م ،04).

ونفس حالات التحريف والاختلاف في الرسم و أدوات الربط و التقديم و التأخير حملتها ترجمة برك ريجيس بلاشير وآلبرت كازيميسكري و مجمع فهد،وزينب عبد العزيز ،حددناها في هذا الشكل من التصنيف:

1_ البسملة:

جاك برك:

_Au nom de dieu,le tout miséricorde ,le Miséricordieux(J.Berque, 23)

ريجيس بلاشير:

_ Au nom d' Allah le bienfaiteur miséricordieux(R .Blachére, , 29)

كازيميرسكي:

_Au nom du Dieu clément et miséricordieux (A. Kazimirski:, 8)

مجمع فهد:

_ Au nom d'Allah ,le clément , le Miséricordieux**(** complexe Roi FAHD,p13)

زينب عبد العزيز:

_ Au nom d'Allah miséricordeur le Miséricordieux(Z. ABDELAZIZ, 58)

إن الملاحظ في ترجمة البسلمة عند كل من جاك برك وبلاشير وكازيميرسكس ومجمع فهد وزينب عبد العزيز،يصل إلى استنتاج مفارقة عجيبة في قراءاتها فرنسيا،وإذا كانت هذه النسخ تفتح المجال لقراءة القرآن للمتفرنسين أو الفرنسيين ،فعلى أي أساس يمكن فهم لغة القرآن الموحدة فرنسيا؟

بما أن بنيته اللفظية مختلفة في النسخ الفرنسية،فإنه معانيه تختلف بالمطلق بحسب التكون المعرفي والأيديولوجي للمترجم،وبالتالي سيأخذ القرآن إلى ما نهاية من الفهوم والتأويلات على غرار ما حدث للأناجيل،وبالتالي نسأل السؤال التالي: ما مصير العربية كلغة أصل للقرآن في ظل الإقدام على لترجماته إلى لغات عالمية ولهجات محلية وقومية؟

2_ أسماء السور:

أسماء السور	جاك برك	بلاشير	زينب عبد العزيز
الفاتحة	Ouverture	La liminaire (Al-Fatiha)	AL-FATiHA
البقرة	LA VACHE	LA Génisse	AL-BaQara
المائدة	LA Table pourvue	La Table Sarvie	AL-MAIDAH **(**La Cène**)**
الإسراء	Le Trajet nocturne ou: les Fils	Le voyage nocturne	AL-IRSA (Faire partir de nuit)
المسد	LA Fibre	La corde	AL-MASAD
الإخلاص	La religion Foncière	Le Culte	AL-IHLAS

3_ مبدأ القراءة القرآنية:حيث أن مواقع الإمالة و الوقف والمدود لم يكن لها موقعا في ترجمات برك و كازيمرسكي وبلاشير،تطرح سؤالا جوهريا كالتالي: ما صدقية هده الترجمات دون هذه العناصر التي تعد منهجا أساسيا في قراءة القرآن؟ وهل تقرأ الجالية العربية المستغربة القرآن دون أن تعرف هذه اللوازم؟

ومن هنا يتبين المصير المنعدم للقراءات القرآنية وتتحرف بنيتها المعرفية في ترجمات القرآن بصفة عامة،حيث كان للمدرسة الاستشراقية موقفا مشككا وسلبي منها خاصة مع المستشرق جولد زيهر.(ينظرزيهر، 1374هـ)

4_ مجال التفسير :إذا ما تم النظر في المعنى الداخلي للقرآن المترجم ففي غالبيته يتناقض مع تاريخية القرآن الأصلية ومع أسباب نزوله،لأن ترجمة الكثير من المفاهيم قد اعتمد فيها على تاريخانية العهد القديم و العهد الجديد للكتاب المقدس،فكيف يعي قارئ القرآن بلغة أجنبية قرآنه الأصلي؟(الكلام،1424هـ، 07)

مثلا ما ورد في ترجمة (جاك برك) للمسجد والذي تناقض فيه على أربعة مفاهيم لا تخرج عن حيزه العقدي وهي :

Sanctuaire : (تعني المعبد الكنسي) ـــــــ (البقرة 149) ـــــــ(شطر المسجد الحرام) ـــــــSanctuaire consacré

Lieu consacré:(مكان مقدس في أي ديانة)ـــــــ (البقرة 114) ـــــــ (منع مساجد الله) ـــــــ(Lieu consacré a dieu)

Oratoire:(المصلي في كنيسة صغيرة) ـــــــ (الإسراء 2) ـــــــ من المسجد الحرام ـــــــ(L'oratoire consacré)

_ Temple:(التضرع والدعاء)ـــــــ(الإسراء 7) ـــــــ (وليدخلوا المسجد) ـــــــ(qu'ils profanent le Temple)

_اتفاق معظم المستشرقين على غموض الأحرف المقطعة كمدخل في الكثير من سور القرآن واختلفوا في رسمها ضمن حقلهم اللغوي،فتارة ترسم بأحرف الهجاء الفرنسية مثل A.L.M ، S، N ،Q.H M وأحيانا يتم رسمها بالرسم العربي (MIM).(LAM).(ALIF) ،دون الأخذ بأن هذه الأحرف في صيغتها أصلية توقيفية،فأثناء قراءتها بلغة أجنبية دون العربية،تفقد مورفيمها وفونيمها الخاص بالنطق الدلالي أو الأداء الصوتي.

وفي سياق التفسير تمت ترجمة القرآن حسب تفاسير بعض العلماء مما سمح بفتح جبهة جديدة للترجمة يكون فيها القرآن مترجما وفقا لتأويلات ايديولوجية مختلفة من ثم يتعذر أمر الترجمة باعتبارها إعادة تعريف للأصل أو كخيانة لهذا الأصل من ثم يغدو الأصل"شيئا أوليا غير قابل للترجمة منذ الانطلاق وهو تعددية اللغات والاختلاف بين اللغات الذي يقدم فكرة تنافر جذري مسبقا إلى جعل الترجمة مستحيلة" (ريكور 2008م ،59).

والسؤال المطروح: إلى أي مدى تظل المجامع الفقهية و الدينية للمسلمين توافق على الترجمات القرآنية في مختلف اللغات واللهجات رغم أن هذه اللغات لا يمكنها أن تصل إلى المعادل أو الشبيه في لغة العرب؟

_ ولماذا توافق على ترجماته المتعددة في اللغة الواحدة رغم أنها مختلفة والمصادقة على ها النوع من التناقض في ألفاظه وعناوين سوره وبسملته وتاريخانيته هو المصادقة على اختلاف القرآن؟

خاتمة:

إذا كانت الترجمات القرآنية تختلف كلية عن بعضها البعض في اللغة الواحدة ,فكيف له أن يقرأ؟

رغم قول الكثيرين أن القرآن يترجم بالمعنى أو الهدف المتوخى هو ترجمة معانيه،فمن خلال مقاربة الترجمات ومقارنتها وجدنا أن القرآن في كل الترجمات ترجم حرفيا وبالنظر إلى هذا الأمر يطرح التساؤل التالي:

هل أن عالمية القرآن وشموليته يقتضي بالضرورة من القرآن أن يتوسع ترجميا؟

قد أجمع العلماء وفي أغلبهم على عدم ترجمة القرآن إلى لغة غير العربية،بحكم خاصيته التي ميزته بها العربية التي لا يمكن لألفاظها أن يكون لها مقابل آخر في اللغات المترجمة،بالإضافة إلى النسق التعبدي الذي لا يجوز صلاة دون العربية،أما ما عداها من ذكر ومناجاة فهو جائز،وفريق آخر من العلماء أجازوها لاعتبارات عدم معرفة اللغة العربية في المناطق التي لا تعرف العربية ،لكن شريطة ألا يعتد قرآنا بل ترجمة لمعانيه وهذا الأمر يطرح إشكالا آخر:

بما أن معانيه قد لاقت انتشارا كثيرا في التفاسير المختلفة ، فبأي معنى وبأي تفسير للقرآن يترجم؟

وإذا كانت كل قومية وكل لهجة محلية يترجم لها القرآن،فيعني أن القرآن قد تساوى مع ظرفية تعدد الأناجيل ،ويصبح الأمر كالتالي:قرآن برك،قرآن بلاشير،قرآن البربر، قرآن الشيشان ، قرآن الأكراد ،قرآن العوام،قرآن مسيلمة الكذاب إذا ما ترجم إلى عامية كل بلد،وهذا هو التحدي الذي يطرحه القرآن ويطرحه واقع ترجمته؟

4-قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أبو العلا،دت ،(**القرآن وأوهام مستشرق**)،المكتب العربي للمعارف.

أبو زهرة،م، 1404هـ، (**محاضرات في النصرانية**)،الرئاسة العامة للإدارات و البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة و الإرشاد ،الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1.

أركون،م. ،(**الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**)،ترجمة وتعليق: هاشم صالح ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

الشيخ،أ.1999م، (**من نقد الإستشراق إلى نقد الاستغراب ،المركز العرب للدراسات الغربية**)،ط1 ،يناير،

الرومي،1424هـ/.2003م، (**نقل معاني القرآن الكريم من لغة إلى أخرى أترجمة أم تفسير**) ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ،ط1.

الرومي،1424هـ/2003م.، (**تحريف المصطلحات القرآنية و أثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر**) ،مكتبة فهد الوطني ،الرياض ،السعودية، ط1 .

العاني،1421ه/2001م، **(الإستشراق والدراسات الإسلامية)**،دار الفرقان للنشر و التوزيع ،عمان، الأردن ،ط 1.

العلوش ،جلال1429هـ/ 2008م ،(**أحكام ترجمة القرآن)**،دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،لبنان ،ط1

العزب، 2006م، (**إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم**(اللغة و المعنى)دار نهضة مصر للطباعة و النشر ،ط1 .

لكلام،ي. 1424هـ، (***القراءات الحداثية للقرآن***)ومناهج نقد الكتاب المقدس،الرياض،ط1.

ريكور،ب. 2008م (***عن الترجمة***)،ترجمة: حسين خمري،دار العربية للعلومن اشرون ،بيروت ،لبنان، دار الاختلاف، ا لجزائر،1429 هـ

ز يهر،ج.1374هـ (**مذاهب التفسير الإسلامي**)،ترجمة:عبد الحليم النجار،مصر،مكتبة الخانجي ،مطلعة السنة المحمدية.

زينب عبد العزيز1421هـ/2001م، (موقف الغرب من الإسلام(**محاصرة وإبادة**)القدس للنشر و الإعلان ،القاهرة ،ط2

زينب عبد العزيز،1425هـ/2005م (**ترجمات القرآن إلى أين وجهان لجاك برك)،**مكتبة وهبة ،القاهرة،ط1.

نصري، أ. 2009م، (**آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**)دار القلم للطباعة و النشر ،الرباط ،المغرب ،ط1 .

_الفرنسية:

Albert Kazimirski: Le Coran.

Jaques Berque: Le Coran,(**Editions revue et corrigé**),Albin Michel,1995,Paris

Régis : introduction au Coran.G-P Maisonneuve. LAROSE, Editeurs 1966.

ZEINAB ABDELAZIZ: Le Qur'ān ,Édition conveying Islamic Messagesociety, Alexandria, Egypt, 1990.

Le noble Coran et la traduction en la langue française de ses sens,complexe Roi FAHD,p13

Petit la rouse , 1986.

The role of foreign Qur'anic translations in distorting the science of revelation

Joudeh Ghanem
College of Humanities and Social / University of Annaba-Algeria Science
samiraphilo_2007@yahoo.fr

Abstract

The translation in the West readings of the Qur'an and the revision of its concepts and, in an ideological context, And his speech formations,to create another Islamic consciousness that is present and contemporary to form a cultural imperialism, Aimed at reproducing the concepts of a new Quran , , Because the so-called text and heritage , He is confronted by a number of Western methodological explosions.

What is the nature of the strategy from which the French foreign translations of the Qur'an were launched?

Keywords: translation, Quran, revelation.

ڕۆڵی وەرگێرانی قورئانی پیرۆز لە بەلاڕێدابردنی زانستی وەحی

جویدە غانم
کۆلێژی زانستە مرۆڤایەتیەکان ومۆمەڵایەتی/ زانکۆی عەنابە/ جەزائیر
samiraphilo_2007@yahoo.fr

پوختە

بێ گومان قورئانی پیرۆز بۆوەتە جێگای گرنگیدانی اوربا بە تایبەتی وەرگێرانی قورئاني پیرۆز، وئەم وەرگێرانە بەمەبەستی ئەوە بوو کە زیاتر خۆبسەپێنن لەسەر ووەڵاتانی ئیسلامی وە قوتابخانەی ڕۆژهەڵاتی فەرەنسی ڕۆڵێکی گرنگی هەبوو بۆ نێشك خستنە سەر بابەتی وەرگێڕانی قورئانی پیرۆز بۆ زمانی تر، وە بێگومان ئەم جۆرە وەرگیرانانە بەدەر نە بووینە لە کەم وکوڕی وە لەم توێژینەوەدا باس لەم کێشانە دەکەین ولەگەڵ چارەسەرکردنی ئەم گرفتانە.